

تنس من أن قضية المرأة هي قضية الرجل^(١) ، وأن هذا وتلك عامودا العائلة فإن مال أحدهما وقصر واختل وضعه تداعى سقف الأسرة وإنهار صرح الاجتماع القائم على دعائم العائلة . يريا نفوساً متيقظات وعقولاً تترك كرامة الأفراد وكرامة الجماعات . نعم أن هذه فئة صغيرة من المجموع الكبير ولكن نقطة النور ستظل آخذة في الإتساع حتى تشمل القوم قليلاً قليلاً . إذ ذاك تقدر مصر المفكرة قدر من فتح الطريق بكل ما لديه من وسيلة وقوة . إذ ذاك تشعر نحوها بتلك العاطفة التي هي فوق الإعجاب والشكران ، وقد سماها كارليل « عبادة الأبطال » فتطلق على كل اسم « بطل الاصلاح » .

وعلى هذا فكلمتي الأخيرة كلمة أمل ونشيد ظفر . والحكم في مستقبل المرأة المصرية - وامرأة الشرق الأدنى على العموم ، لأن مصر عظمة الأثر في ابناء هذه الأقطار - يجب أن يستخرج من كتاب « تحرير المرأة » ، ذلك الحكم الذي أصدره المؤلف ساعة وحي ودونه في السطور الآتية :

« أنه لا بد لحسن حال الأمة من أن تحسن حال المرأة . فإذا أرسل الناظر فكره ليحيط بأطراف هذا الموضوع الواسع ويجمع ما يرتبط به من المسائل انجلت له الحقيقة وتجلت له بجميع أسرارها فيرى صورة لا تشابه الخيال الذي كان يظنه جسماً . ويرى المرأة التي يهينها المستقبل تتلألأ في أنوار جمالها ظاهرة مظهرها الفطري ولايسة حلة كمالها الثنائي : الجسم والعقل » .

The woman's question is man's; They rise or risk Together, dwarfed or god-like, bond or free. (١)
Tennyson.